حوليات عربيةٌ من زنجبار(*)

■ إدوارد ساخاو ■

عندما بدأت العلاقات بين ألمانيا وشرق إفريقيا، اكتفت

* ظهر هذا المقال في Mitt. d.Sem.f. Orient. Sprachen, 1898, Heft II, 1-20. [**إدوارد ساخاو وكشف الغُمة**]: تُعدُّ قراءة ساخاو التفصيلية لكتاب **كشف الغُمة** وعلاقة كتاب سليل بن رُزيق وكتب أُخرى به في المقالة المترجمة هنا شديدة الأهمية؛ لأنها مبكِّرةٌ أولاً (1898)؛ إذ لم تسبقها غير ترجمة روس لبعض فصوله. بَيْدَ أنَّ هذه القراءة تُعاني ـ شأن الدراسات الأولى ـ من عيوبٍ **أولُها:** التشكيك في نسبة الكتاب إلى سرحان الأزكوي، والذهاب إلى أنه قد يكون ناسخاً فقط. وجاءت بعد ذلك دراساتٌ ذهبت إلى أنه جامعٌ في الحقيقة وليس مؤلّفاً، في حين ذهب آخرون إلى صحة نسبة الكتاب إلى الأزكوي. **وثاني** تلك العيوب: الأخطاء المتكاثرة في قراءة المصطلحات وأسماء الأعلام. **وثالث** تلك العيوب: التركيز على تأثيره في الكتابات المتأخرة، دونما اهتمامٍ كبيرٍ بمصادر الكتاب. على أنّ أهمية الدراسة لا تقتصر على تبكيرها؛ بل إنها تتضمن (إلى جانب مقالات ساخاو الأُخرى عن الإباضية) عدة استبصارات من مثل: التنبيه إلى أهمية الرسائل المنسوبة إلى عبد الله بن إباض، وتوقُّع تطور أدب التراجم عند الإباضية، والالتفات إلى أهمية كتاب **الكشف والبيان** باعتباره مصدراً مبكراً؛ وهذا فضلاً عن الكشف عن مركزية حَمَلة العلم في النظام العقدي والسياسي عند الإباضية. وما تزال دراسات ساخاو التأسيسية هذه موضع نقاشٍ في أعمال الدارسين المتخصصين. وبعد طباعة فصول متفرقة من **كشف الغُمة** عبر القرن العشرين، قام الدكتور حسن النابودة بنشره كاملاً في طبعةٍ علمية، كما نشرته وزارة الثقافة والتراث بعُمان في تحقيقٍ آخر. وحبذا لو يجد **الكشف والبيان** نشرةً مماثلة. وهكذا فإنّ دراسة ساخاو هذه عنه استحقت الترجمة لتوضَعَ في التأمُّل لدى الباحثين العرب، بالنظر لبقاء قيمتها العلمية، وقلة عدد القرّاء باللغة الألمانية] (تعليق المترجم: رضوان السيد).

■ مستشرق ألماني.

دوائر الاستشـــراق المتخصصة باستطلاع انتشار الإسلام في تلك الجهات من ناحيـــة التاريخ، والخصائـــص المتفردة، ومـــن ناحية الأمـــراء العرب الذين يسودون في تلك النواحي، وقد تركّز الاهتمام على وجه الخصوص على تحليل مضامين الكتاب الذي نشرته جمعية هاكليوز اللندنية وهو يتعلق بتاريخ الأئمة والســـادة العُمانيين فيما بين 661م و1856م من تأليف سليل بن رُزيق. وهو العمل الذي ترجمه ودرســـه G.P. Badger والدارس هذا هو في الأصل كاهنٌ مُلحقٌ بالجيش البريطاني. وكان Badger قد نشـــر من قبل عملاً علمياً مكتوباً بالسريانية عن الكنيســـة النسطورية في سورية القديمة، وقد دفعته الظروف السياسية للذهاب إلى مسقط وعُمان، وكان السيد سعيد حاكم عُمان وزنجبار والأصقـــاع التي صارت اليوم ألمانيةً وبريطانية بشـــرق إفريقيا قد توفي عام 1856م بعد فترة حكمٍ طويلـــةٍ وناجحة، وقد ورث المملكة في جانبها العُماني ابنُه ثُويني، في حين ســـيطر على القســـم الإفريقي ابنُه الأصغر ماجد. وقد حال البريطاني Canning نائب الملك بالهند دون نشوب الحرب بين الأخوين، وأرســـل بعثةً لبحث قضايا النزاع إلى مسقط. وكان السيد Badger عضواً في تلـــك البعثة، وخلال وجوده بمســـقط أرســـل إليه الأمير ثوينـــي عام 1860م مخطوطةً عربيةً تتناول تاريخ الأُسرة وتاريخ البيت المالك والوطن العُماني، وهو العملُ الـــذي ظهر مترجمـــاً إلى الإنجليزيـــة بعد أحد عشـــر عاماً. أما المخطـــوط العربي الأصلـــي ـ والذي بقي غير معروف ـ فقد ذهب ـ بحســـب علمي ـ مع مخطوطاتٍ أُخرى من تركة Badger إلى كمبردج.

أمّا مؤلّف الكتاب الـــذي انتهى من تأليفه عام 1857م فهو ســـليل بن محمد بن رُزيق[1]، وهو من مسقط، وبسبب قرب الأُسرة من البيت المالك؛ فإنّ أباه وجدَّه حصلا على وظيفةٍ في مصلحة الجمارك، وقد اعتمد ســـليل علـــى تقاريرهما وأخبارهما في الكتـــاب الذي وضعه. ولأنـــه كتب ما كتبه بتكليفٍ من أحد أُمراء البوسعيديين؛ فقد كان همُّهُ كتابة تاريخ الأُسرة. أمّا تاريخ البـــلاد، وأخبـــار الرحـــلات البحرية الغربيـــة واســـتعمار النواحي

1 ـ أو رُزيق؟ وإلى جانب سليل فإنّ أخاه حميداً شارك في تأليف الكتاب.

الإفريقية فإنه يوردُها عَرَضاً في تقديمه للعمل. وقد قسّم ابن رزيق عمله إلى ثلاثة أقسام: فذكر في القسم الأول فترة حكم الوالي الأُموي القوي الحجّاج (بن يوسف) المتوفّى عام 713م، في زمن الخليفة الأُموي عبد الملك بن مروان، ويمتد به الحديث الوجيز إلى عام 1741م. وأمّا القسم الثاني من العمل فيذكر فيه تأسيس حكم الأُسرة البوسعيدية أيام أحمد بن سعيد 1741 - 1775م وأعقابه وخلفائه. في حين ينصبُّ القسم الثالث على فترة المجد والازدهار لحكم تلك الأُسرة أيام سعيد بن سلطان 1804 - 1856م. في الفترة القديمة التي يعالجها القسم الأول كانت عُمان محكومةً من الولاة الذين عيّنهم الأمويون والعباسيون؛ لكن في السنوات الأُولى لخلافة بني العبّاس نشبت ثورةٌ بعُمان كانت لها أبعادٌ دينيةٌ وسياسية. وهكذا ظهر المذهب الإباضي والذي أنشأ الدولة وسوَّدَ المذهب الإباضي الذي ما يزال سائداً بتلك البلاد إلى اليوم. ومع ظهور المذهب والدولة تخلخلت سيطرة العباسيين الغُرباء، وحكمت البلاد أُسَرٌ عربيةٌ متواليةٌ من أهلها: من بنى الجُلندى (الذين حكموا في عُمان منذ ما قبل الإسلام)، ومن بني هُناءة[1]، ومن بني خَروص، ونبهان، ويعرُب، وقبائل أُخرى. وهي تنتمي جميعاً إلى قبيلة الأزد العربية الجنوبية الكبيرة. أما بنو يعرب (اليعاربة) الذين حكموا قبل آل بو سعيد فإنّ تاريخهم ما يزال غارقاً في الغموض. وفي سياق القَصص عن حكم تلك الأُسَر والدول عبر العصور، يجري الحديث عن الصراع مع الفُرْس الذين سيطروا على أجزاء واسعة من سواحل البلاد، وهناك حديثٌ أيضاً عن الصراع مع البرتغاليين. وسيظلُّ صعباً ـ من خلال أخبار الحوليات العربية ـ بناءُ صورة متماسكة عن تطورات ذاك التاريخ الحافل وحروبه ونزاعاته.

عندما بدأت العلاقات بين ألمانيا وشرق إفريقيا، اكتفت دوائر الاستشراق المتخصصة باستطلاع انتشار الإسلام في تلك الجهات

1 ـ ابن دريد: الاشتقاق، ص292.

وبخاصةٍ أنّ تاريخ البلاد وأقاليمها الداخلية فيما وراء السواحل ما يزال مجهولاً إلى حدٍ بعيد، ويصدق هذا الأمر أيضاً على وسط الجزيرة وجنوبها.

في الجزء الأقدم من تاريخ سليل بن رزيق ـ قبل وصول البوسعيديين للسلطة عام 1741م ـ يذكر المؤلّف مصدراً واحداً رجع إليه اسمه: كشف الغُمّة (ص36، 39، 52)، وهو غير معروفٍ في أوروبا؛ وذلك لأنّ أدبيات الإباضية غير معروفةٍ عند العرب، كما أنها نادرةٌ في أوروبا. لقد كُتبت الرسائل والمؤلَّفات الإباضية بعيداً عن المراكز الثقافية الإسلامية الكبرى في بغداد ودمشق ومكة والقاهرة والمدن الأُخرى، وفي نواحٍ نائية. والأماكن التي كُتبت فيها ما كانت لها ارتباطاتٌ سياسيةٌ بالمراكز الكبرى، أمّا التواصل التجاري فقد كان ضئيلاً، وهذا فضلاً عن تجاهُل الأرثوذكسيات الإسلامية للأعمال الإباضية. وما كانت لدى النُسّاخ والوراقين ـ من عقائد مخالفة ـ دوافعُ قويةٌ لنسْخ تلك الكتابات وتداوُلها خوفاً من الاتهام بالابتداع أو خشية التأثُّر بها. إنما في الفترة القريبة الماضية طُبعت بعض الأعمال الإباضية بالقاهرة، ولصالح أو من جانب إباضية الجزائر؛ لكنّ تلك المطبوعات بقيت ضئيلة الانتشار[1]. وقد طُبعت كتبٌ إباضيةٌ بزنجبار أيضاً، وبطلبٍ من السلطان برغش الذي عدها وقفاً على أتباع المذهب حتى لا يتحولوا عنه إلى المسيحية أو المذاهب السُنيّة. والدوافع هذه توافرت أيضاً لدى أهل السُنَّة الذين نشروا صحيح البخاري مثلاً، واعتبروه قصْراً عليهم وما حرصوا على أن يتعرف عليه غيرهم، أو يتعرف المستشرقون الأوروبيون عليه.

إننا مدينون للدكتور فالتر روسلر Rössler ـ الذي كان طالباً بالمعهد الشرقي، وصار موظفاً ومترجماً بالقنصلية القيصرية بزنجبار ـ بمعرفة وانتساخ مخطوطةٍ تاريخيةٍ إباضية، أهداها إلى مكتبة المعهد الشرقي. وقد وصلت تلك النسخة من المخطوطة إلى المعهد عام 1895م، وتاريخ كتابتها هو رجب 1312هـ/أغسطس 1895م، والكاتب أو الناسخ هو

1 ـ مثل كتاب النيل، وقناطر الخيرات، والإيضاح.

خلفان بن هوشـك بن خلفان بن سالم الهيطالي، وتشير بعض البياضات والأخطاء في النسـخة إلى أنّ الأصل المنسوخ عنه ما كان بحالةٍ جيدة؛ في حين يبدو أنّ هناك أخطاءً وقع فيها الناسـخ نفسـه. وعلى أي حال؛ فمن المستحسَن السـعي للعثور على مخطوطةٍ أُخرى من النص للمقارنة والتصحيح، أو مقارنة مضمونه بمصادر أُخرى تتعامل مع الموضوع ذاته. وهذه الحوليات من زنجبار هي التي رجع إليها سليل بن رزيق، وعنوانها: **كشـف الغُمة** الجامع لأخبار الأمة. وعلى **كشـف الغُمة** هذا اعتمد ابن رزيق فـي تأريخه للحقبة الأولى من التاريخ الإسـلامي. وكتاب **كشـف الغُمة** ضخمٌ وغنـي المضامين، وهـو لا يقتصر على التاريـخ العُماني ويمضي إلـى ما هو أبعد من ذلك، مُعالجاً تاريـخ المذهب الإباضي في الشـرق والغرب وفي الوسـط، ومزداناً بالفقه والعقائـد والتراجم إلى حدود عام 1728م. وليس هناك في المخطوط ما يشير إلى تاريخٍ أحدث. ولأنّ الكتاب يُعطي الانطبـاع بأنه كاملٌ نصاً وليس فيـه تواريخ أحدَث، فالراجح أنه جرى البدء بكتابته في عام 1728م في عُمان. واسم المؤلِّف غيـر مذكور على غلاف المخطوط، ولا في كتب التراجم. وما اسـتطعت العثور على آثارٍ من شخصيته وأخباره في الكتاب. ولا بد أنه توافرت له مصادر غنيةٌ فـي مختلف المجـالات*؛ بَيْدَ أنّ هذا الغنـى في الأدبيات والمراجع لا يظهر فـي جانب التراجـم التي يوردُها والتـي لا تتضمن معلوماتٍ بـارزةً أو تفصيلية بخلاف الموضوعات الأُخـرى. ويبدو أنه ما كان من عادة هـذا المؤلّف ذكْر مصـادره، وإن يكن يـورد أحياناً هذا الاسم أو ذاك العنوان من الأدبيات التي رجع إليها.

يحتوي كتاب «كشـف الغُمة» على أربعيـن باباً. وبخـلاف الموضوعات الواردة في كلّ المؤلَّفات الإسـلامية عن أنبياء وعهود ما قبل الإسلام، وعن سيرة النبي والخلفاء؛ يتميّز الكتاب بأربع مسائل أو موضوعات:

* قال سـاخاو فيما بعد في مقالاتٍ أُخرى: إنه يشـك في أن يكون سـالم الأزكوي الموجود اسمه بخطٍّ غير واضح على إحدى النُسَـخ هو المؤلف، ويظنه الناسـخ أو القـارئ أو المتملك لأحد مخطوطات الكتاب (المترجم).

1 ـ الجانب الأُسطوري: أقاصيص عن التاريخ القديم لعرب الأزد.

2 ـ الجانب التاريخي: أصول المذهب الإباضي، سواء في عُمان أو في شمال إفريقيا.

3 ـ الجانب الديني/ التاريخي: عرض المذهب الإباضي في عقائده الرئيسة والدفاع عنه.

4 ـ جانب التراجم والطبقات: ذكر العلماء والرجالات المشهورين عند الإباضية.

أ ـ في تاريخ عُمان: يقع تاريخ عُمان في كشف الغُمة بين الفصول 33 و39، وعلى الصفحات 378ب ـ 466أ. وبالمقارنة بين ترجمة بادجر الإنجليزية والنص الذي بين أيدينا نجد أنّ نصّ سليل ذاك مأخوذٌ بحذافيره عن كشف الغمة. وإذا مضينا إلى التفاصيل نجد ما يلي:

الفصل 33: تاريخ عُمان منذ ظهور الإسلام وإلى الفتنة الكبرى[1] بين ورقة 378ب وورقة 396أ، والاقتباس عند بادجر بين (ص1 وص29). وبينما يبدأُ سليل بالخليفة عبد الملك والحجاج، يبدأ مؤلّف كشف الغُمة بظهور الإسلام في عُمان والزمن التالي حتى أيام الحجاج. أما المسلم العُماني الأول فاسمه مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيّان بن مُرّ بن حيّان بن مُرّ بن أبي بشر بن حطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء. وهو من ناحية سمائل، وكان يتعبد من قبل للصنم المسمَّى بناجر، ومن خلال أحد معارفه سمع بدعوة محمدٍ فذهب إلى المدينة واعتنق الإسلام، وله ولدٌ اسمه حيان بن مازن، وقد أرسل النبي ﷺ داعيةً للإسلام بشخص عمرو بن العاص، حيث كان يحكم أهل ريف(؟) عُمان كلٌّ من عبد وجيفر ابني الجُلندى. أما المدينة التي قصدها عمرو بن العاص فكانت ماستجرد[2] في صُحار، التي كان الفرس قد بنوها. ومن هناك أرسل رسوله إلى ابني الجُلندى، واللذَين تشاورا مع كعب بن برشة العَودي ثم اعتنقا الإسلام. ومن هناك انتشر الإسلام

1 ـ الباب الثالث والثلاثون في أخبار أهل عُمان من أول إسلامهم إلى اختلاف كلمتهم.

2 ـ نُطْقُ اسم المدينة غير مؤكَّد.

في مهرة والشِحْر ودبا وسائر عُمان. وما بقي خارج الدين الجديد غير الفرس الموجودين بالبلاد، والذين أبَوا اعتناق الدين الجديد. وقد أغار الأزديون على الفرس وانتصروا عليهم وقتلوا قائدهم واسمه مسكنان أو مسكان وكثيراً من أقاربه. أمّا الباقون من الفرس فقد تحصّنوا بماستجرد، وبعد حصارٍ طويل جرى الاتفاق على أن يغادروا دون ممتلكاتهم ففارقوا البلدة والبلاد. وظلّ عمرو بالبلاد حتى وفاة النبي فغادر إلى المدينة المنوَّرة ومعه عبد ابن الجُلَندى وجعفر بن جُشَم العتكي وأبو صُفرة سارق بن ظالم. أمّا عمرو (بن العاص) فقاد بأمر أبي بكرٍ حملةً ضد آل جفنة بالشام، وأمّا ابنا الجُلَنْدى فقد عادا إلى عُمان وحكما فيها حتى وفاتهما. وخَلَفهما في السلطة عبّاد بن عبد بن الجُلَندى، وبعده ولداه سليمان وسعيد إلى زمن الحجّاج. والمعالم الرئيسة لهذه القصة في كشف الغمة ـ كما في التفاصيل ـ موجوده في النصّ الذي ترجمه بادجر، مع إضافاتٍ تتعلق بأمجاد الإسلام الأُولى في عُمان.

قاد النزاع على السلطة أيام الصلت بن مالك إلى انقسام دفع بعض الأطرافَ إلى طلب المساعدة من والي العباسيين على البحرين!

أمّا الفصل 34: فإنه غير مستعملٍ من جانب سَليل وعنوانه في ذكر اختلاف أهل الدعوة في ولاية أهل الحدث الواقع بعُمان في زمن الصلت بن مالك. والمعنيُّ باختلاف أهل الدعوة: الانقسام بين الإباضية بشأن الموقف من الذين شاركوا في الصراعات السياسية التي دارت لسنواتٍ خلال ولاية الإمام الصلت بن مالك، والتي دفعت بعض المتصارعين إلى طلب المساعدة من الخارج، من والي العباسيين على البحرين، بحيث أدّى ذلك إلى خضوع عُمان للسلطة العباسية أيام الخليفة المعتضد، والتي يبدو أنّ الإباضيين المنقسمين أو بعضهم لعب دوراً سيئاً (بادجر: ص19 - 25) فيها. يُدخلُنا المؤلّف في قلب النزاع السياسي بشأن التداوُل في الإمامة أو الرئاسة في الدولة الثيوقراطية الإباضية. ويذكر بالتفصيل آراء ومواقف الأحزاب التي نشأت نتيجة الأزمة، ومن ضمن ذلك آراء عدد من الشخصيات البارزة من المتكلمين والفقهاء والطامحين للسلطة، وهم جيل الإباضية الأول لهذه

الناحية بعُمان. أما الفريق الأول فيعدّ المتنازعين الثلاثة على الإمامة جميعاً على حقّ، وهم: الصلت بن مالك، وموسى بن موسى، وراشد بن النظِر، أمّا الأمور الأخرى فتتباعد آراء رجالاته بشأنها. وأما الفريق الثاني فيقول: إنّ الصلت بن مالك هو الإمام الشرعي، وما يفعله موسى وراشد هو بغيٌ وعُدْوان على الإمامة الشرعية القائمة. ويذهب الفريق الثالث إلى أنّ موسى وراشداً ليسا خارجَين أو باغيين، لكنّ الصلت هو الإمام الشرعي...إلخ. وبالإضافة إلى ما ذكر من مواقف، هناك حديثٌ عن ثلاثةٍ من ذوي السلطة والسلطان هم عزّان بن تميم والحُوَّاري بن عبد الله، والفضل بن الحُوّاري، وآراء العلماء بشأنهم (المخطوطة 399ب ـ 402أ). والموقف بحسب العقائد الرسمية المتعلقة بالدولة يجعل من الخارجين أو البُغاة إمّا حقيقين **بالبراءة** أو التكفير، أو **الولاية** والتولّي، وهي مناقضةٌ للبراءة؛ أي: المُوالاة والنُصرة، وأنه منتمٍ إلى الفِرقة وملتزمٌ بعقائدها، أو الموقف الوسط وهو الوقوفُ عن فلان؛ أي: لا براءةَ ولا تولٍّ، وهذا يعني موقفاً محايداً من هذا المرشح أو ذاك للإمامة. وقارن بالمخطوطة 405ب، س9 (وكذلك 406ب، س5 - 6): «ولاية أو براءة أو وقوف؛ لأن منهم من يبرأ ممن يقف، ومنهم من كان يتولّى ثم رجع إلى الوقوف وتولّى من تولّى، وكلُّهم أهل فضلٍ وعلمٍ وورعٍ وصدقٍ فيما ظهر من أمرهم». والبارز في موقف المؤلّف أنه يذكر مراراً وتكراراً أن اختلاف هؤلاء بشأن المستحق للإمامة لا يُخِلُّ بدينهم وورعهم وديانتهم واستمرار انتمائهم إلى الإباضية؛ فعلى سبيل المثال يقول في ص406أ، س3: «وإن اختلف قولهم في هذه الأحداث في الولاية والبراءة والوقوف فأصْلُ دينهم ومذهبهم على الاتّفاق في التديُّن فيهم، ومن وجبت ولايتُهُ منهم علينا فهو وليُّنا، ولا نفرّق بينهم وبين أحدٍ منهم لافتراق أقوالهم في الولاية والبراءة والوقوف عند ظهور السلامة في أصول الدين من أحكام أُصول البِدَع..».

يُسمّي المؤلّف فترة النزاع على السلطة: الأحداث[1]، ويبدو أنّ تلك «الأحداث» تركت آثاراً عميقةً وباقيةً في العقليات والنفسيات، بدليل الاهتمام

1 ـ يتكرر هذا المصطلح «الأحداث» في ذكر شعال بنزوى، والتي جرت فيها محاولةٌ للإصلاح بين المختلفين لكنها فشلت. قارن بالمخطوطة 404ب، س1 وما بعده.

بمتابعة الكتابة عنها والتأريــخ لها بعد مُضيّ أجيالٍ على حدوثها. فالمؤلف أو كاتب التقريــر كان بين البارزين مــن العلماء الذين لهم موقــفٌ ورأي فيما جرى، وليس بين المُعاصرين لتلك الفتنة فقط؛ بل للجيل الثاني والثالث بعد ذلك (الخَلَف)، وهو يقول: إنّ ذاك الانقســام والتحزب بين الأطراف اســتمر «إلى يومنا هذا». ويبدو لي أنّ العبارة السالفة الذكر لا تعود إلى أيام مؤلف كشــف الغُمة؛ بل إلى التقرير أو المصدر الذي ينقل عنــه في كل الفصل أو الباب رقم 34 (396أ، س17 و402أ، س14). واسم الرجل أبو زيد، ولا أعلم لأي عصرٍ ينتمي؛ لكنْ ربمــا كان من أبناء الجيل الثاني أو الثالث بعد **الأحداث**؛ لأنه يقول أحياناً: إنّ الأخبار التي يوردها استمدها من تقارير شهود عيانٍ لتلك الوقائع: «ومنه ما عرفناه مشافهةً ممن أخذنا عنه ذلــك» (401أ، س8). أما المعاصرون لتلك الأحداث ـ والذين يذكر صاحب كشف الغمة أســماءهم (402أ ومــا بعــد) ـ فهم: أبــو محمد الفضل بن الحوارى، وأبــو جابر محمد بن جعفر، وأبو عبد الله نبهان بن عثمان، وأبو المؤثر، وأبو المنذر بن محمد بن محبوب، وأبو محمد بشــير بن محمد بن محبوب، وعبد الله بن محمد بن محبوب، وأبو علي الأزهر بن محمد بن جعفــر، وأبو الحوارى محمد بــن الحوارى الأعمى، وآخرون (404، س14 وما بعد). وفي آخر الباب (406ب) يورد المؤلّف قائمةً بأسماء السَــلَف الكبار الذين ينسَب الإباضية أنفسَــهم إليهم أصولاً وانتماءً؛ إثباتاً لصحة اعتقــاده، وهم: النبي محمد، وأبو بكر وعمر، وعمّار بن ياســر ورفاقه في «يوم الدار ويوم الجمل وأيام صفّين ويوم النهروان». أمّا من جيل **التابعين** فيذكر: جابر بن زيد، وأبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة. ومن الخوارج: المرداس بن حُديــر، وعبد الله بن إباض، وعبد الله بن يحيــى. ومن العلماء: محبوب بن الرحيل، وعزّان بن الصقر، وراشد بن الوليد، وسعيد بن عبد الله. ولا شــكّ أنّ لهذا الفصل أو البــاب أهمية من حيث إنه يُضــيءُ على أحداثٍ وقعت في حياة تلك الفرقة الهامشية لا نعرف عنها الكثير؛ فإنّ أهميته تزداد

يُسمّي المؤلّف فترة النزاع على السلطة: الأحداث، ويبدو أنّ تلك «الأحداث» تركت آثاراً عميقةً وباقيةً في العقليات والنفسيات

بالتفاصيل التي يذكرها عن آراء ومواقف الشخصيات، وعن أصولها وخلفياتها الفقهية والعقائدية.

أما الفصل رقم 35[1] (المخطوطة 407أ ـ 420ب) فإنه يتوافق في ورقاته الأُولى مع فصل بادجر، ص29 - 34. أما بعد ذلك فيتوافق مع بادجر، ص35 - 40، 48 - 52. أمّا في سلسلة الأئمة (بادجر، ص36)، فهناك بين ابن أبي جابر ومالك إمامان آخران لم يذكرهما سليل، وهما جيش وحبيش أو خنبش أو حنبش، وابنهما محمد بن حنبش، واللذان حكما بين 510 و557هـ. أما الأول ولنسمِّه محمد بن خنبش[2]، فاستناداً إلى كتاب عثمان بن موسى بن محمد بن عثمان قد توفي بنزوى بتاريخ 10 جمادى الأولى عام 510هـ. وفي اليوم نفسِه بويع ابنه بدعوةٍ ودعمٍ من القاضي نجاد بن موسى، والفقيه أبي النظر أحمد بن محمد. وتأتي بعد ذلك مُلاحظة عن قبر خنبش، وكان خنبش وابنه من الورِعين، كما كانت وفاتهما خسارة كبيرة لعُمان. وقارن بالمخطوطة 413أ، س7:

«ومن كتاب الفقيه عثمان بن موسى بن محمد بن عثمان الساكن محلة الجرمة من عقر نزوى كتبه بيده وكتبتُ هذا من خطِّة قال:

فلمّا كان يوم السبت لعشرٍ من جُمادى الأُولى توفّي الإمام حبيس[3] بن محمد بن هشام، فجرى على الناس لموته مصيبة عظيمة. وكان رجل من أهل الصلاح ينشد عند قبره شعراً فقال:

وليس من الرزية فقد تيسٍ ... ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ
ولكنّ الرزية موتُ نفسٍ ... يموتُ لموتها خلْقٌ كثيرُ

وعقد ولايته ذلك اليوم، يوم مات، عقد ولاية محمد بن حبيس، عقده نجاد بن موسى، وكان نجاد قاضيه، وخطب أبو بكر أحمد بن

1 ـ في ذكر الإمامين سعيد بن عبد الله وراشد بن الوليد وضمن بعدهما إلى عمر بن قاسم الفضيلي.

2 ـ قارن بكتاب الاشتقاق لابن دريد، ص325.

3 ـ الصحيح: خنبش (المترجم).

محمد المعلم، وكان ذلك سنة عشر وخمسمائة. وقُبر عند مقبرة القاضي أبي بكر أحمد بن عمر وولده أبو(!) جابر، وهنالك أيضاً القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى، وكان رجلاً معروفاً بالفسق وشُرّاب المسكر أَوصى أن يُقبر عندهم (413 ب) **فقُبر هنالك.**

وكان ذلك اليوم يوماً شديداً على المسلمين، فقيل لبعض الصالحين: إنّ فلاناً أوصى أن يُقبر عند مقابر الصالحين لينفعه ذلك وقد كان كذا وكذا. قيل له: إنه ينبغي أن يتقرب من الصالحين في الحياة وبعد الممات لتنزل الرحمة، فقُبر الرجل هناك واشتدّ ذلك على الناس. وهذا الموضع الذي فيه هذه المقبرة مقبرة الإمام خنبش وهؤلاء المذكورين هو موضع يكون على الطريق الجائز الذي ينفذ من فلج الغنتق من عند مساجد العباد عند الجبل الأسود الصغير الذي يقال له جبل الجيود إذ كان له حروفٌ بائنة من الصخور من أعراضه لا من أعاليه، ثمّ من بعده محمد بن حنبش مات سنة سبعٍ وخمسين وخمسمائة، وقُبر عند فلج الغنتق عند جبل ذو الجيود، وأُصيب أهلُ عُمان بموته ما لم يُصابوا بأحدٍ من قبله».

وفي ملاحظةٍ على ورقة 414 ب **من المخطوطة (وعند بادجر، ص** 40) **يُشارُ مرةً أُخرى إلى محمد بن حنبس**[1]**. ويتلو ذلك** (414 ب **أيضاً) قصة عن أبي الحسن بن خميس بن عامر** (= **بادجر، ص** 48).

وفي خاتمة تقريره عن الأئمة محمد بن إسماعيل وبركات وعبد الله الهُنائي (416 ب، ص 12) يحمل مؤلِّف «كشف الغُمة» على محمد بن إسماعيل وابنه بركات (418 أ، س 15) وبعض أعوانهم (418 ب، س 5)، ويبرأُ منهم. وهو يستند في ذلك إلى سيرة الشيخ أحمد بن مدّاد[2] (420ب، س 12)؛ حيث أُعلنت إمامتهم بوصفها غير شرعية. استناداً إلى سيرة ابن مدَّاد إذن يرفع

1 ـ الصحيح: خنبش (المترجم).

2 ـ ربما كان المعني السيرة التي كتبها الشيخ أحمد بن مدّاد لمحمد بن إسماعيل وبركات. قارن 418 ب ـ 9،10.

صاحب كشف الغمة ضد محمد بن إسماعيل وابنه بركات الاتهامات التالية: أنهم كانوا يأخذون الزكاة من المسلمين بطرائق غير شرعية، وبما يتجاوز المصارف الشرعية، وبالعنف والإرغام، ومن الأرامل والأيتام الذين لا تجب عليهم الزكاة. بل وكانوا يستوفون الزكاة أحياناً ممن لا تجب عليهم؛ لأنّ ما يملكونه أقلّ من النصاب. وما كانوا يعترفون بالقمح والتمر في استيناء الزكاة؛ وإنما يطلبون المقابل بالذهب والفضة. ثم إنهم ما كانوا يقومون بواجبهم في (حماية) رعاياهم والحرص على مصالحهم. هناك إذنّ ستُّ مظالم (قارن 419ب، 420أ) يُوردُها صاحب **كشف الغمة** (اقتباساً من ابن مدّاد) ضد محمد بن إسماعيل وابنه بركات. إنما الطريف واللافت أنه يعترف أنّ الأموال المجموعة قسْراً من الرعية كان الهدفُ منها رشوة «الجبابرة» حتى لا يُغيروا على النواحي الواقعة تحت سيطرة الإمامة. وابن مدَّاد لا يَعدُّ ذلك القصد مسوِّغاً شرعياً، ويبرأُ من السلطات وما قامت به. لكنْ ليس من الواضح مَنْ هم أولئك الجبابرة المقصودون: هل هم الوُلاة العباسيون، أم متسلطون آخرون من غير الإباضية (417ب، 420أ). فالمذهب الإباضي مذهب متشدّدٌ ولا يقبل أيَّ حِراكٍ أو اختراق، ومن يتجاوزه أو يتجاهله في مسألة صغُرت أو كبُرت يصبح فاسقاً أو كافراً. وفي لعنات الإدانة والبراءة هذه يجري الاستناد إلى آراء فقهاء بارزين من أسلاف الإباضية المحترمين مثل محمد بن محبوب (416ب)، والشيخ أبي الحسن محمد بن علي البسْيوي* (417أ). وإلى المصدر نفسِه تنتمي الملاحظة عند بادجر، (ص52) بشأن إمامٍ غير معروفٍ من المصادر الأُخرى هو عمر بن قاسم الفضيلي. يقول النصُّ في المخطوطة (420أ):

فإنّ حُكْمَ كتاب الله وسُنّة رسوله ودين المسلمين بالحقّ والهدى لنا، وبإجازة الإمامة للإمام العدل الوليّ عمر بن قاسم الفضيلي أيده الله ونصره، وبإبطال بركات بن محمد بن إسماعيل المشهور في السيرة؛ فأعينونا عليه واشهدوا بالحقّ والصدق ولو على أنفسكم،

* يكتبها ساخاو: البَسِيوي.

وإنْ يحكُمْ كتابُ الله وسُـنّة رسـوله وإجماعُ المسـلمين بإجازة بِدَعِ محمد بن إسـماعيل وبِدَع ولده بـركات، وإثبات إمامـة بركات بن محمد بن إسـماعيل، وبإبطال إمامة العدل الوليّ عمر بن قاسـم الفضيلي فنحن راضون بحكم الله وسُـنّة رسـوله ودين المسلمين، ورغماً لأُنوفنا إن لم نرض بحكم الله، واتّبعوا في الحكم بيننا وبين بركات كتاب الله وسنّة رسوله ودين المسلمين، ولا تقلّدونا ولا تقلّدوا بركات بن محمد بن إسـماعيل ولا أحداً من المسـلمين من العلماء الأولين والآخرين في (....) لأنّ التقليد في الإحرام لا يجوز في دين الله ودين المسـلمين. فهذا ما اختصرتُهُ من سيرة الشيخ أحمد بن مدّاد يدلُّ على أنّ إمامةَ عمر بن قاسـم الفضيلي وقعت على إمامة بركات بن محمد بن إسماعيل والله أعلم وأحكم، وبه التوفيق.

إنّ الذي يُفهم من هذا النصّ كلّه أنّ عمر بن قاسم الفضيلي كان ثائراً على الإمـام القائم بركات، وأنّ كاتب السـيرة أحمد بن مـدَّاد كان منحازاً للإمام المُعارض أو الثائر.

أمّا الفصـل رقم 36: (المخطوطـة، 420 ب ـ 428 أ) فيوجد مقتبسـاً في ترجمة بادجـر لابن رُزيق (41 - 48) إنما بشـكلٍ مختصـرٍ أو مجتزأ؛ فالنصف الأول من تاريخ أمراء بني نبهان ليس موجوداً لدى سليل (بن رُزيق)، وهذا يعني أنّ هذا القسم كان ناقصاً في مخطوطة **كشف الغُمة** التي نقل عنها سليل.

عندما توفّي الأمير سـلطان بن محسـن في ربيع الثاني عام 973هـ ترك ثلاثة أولاد: مظفَّر بن سـلطان، وسلطان بن سـلطان، وطهميا بن سلطان، وقد تولّى السـلطة مـن بينهم مظفَّر بن سـلطان إلـى أن توفّي فـي المحرَّم عام 996هـ، وقد ترك مظفَّر طفلاً صغيراً اسـمه سـليمان ما كان قادراً على تولّي السلطة، ولذلك وَلي السـلطة أحد أقاربه (في المخطوطة خطأً: ابنه!) واسمه فلاح بن محسن، وقد أقام في قلعة مقنيات (؟)، وحكم بإنصافٍ وعدلٍ إلى أن توفّي بعد سبع سنوات (1003). ثم تولّى السلطة سليمان بن مظفر وكان قد بلغ الثانية عشـرة من عمره حتى عـام 1019هـ. وهناك تقريـرٌ طويلٌ عن حروب

سليمان مع الفرس، وعن الانقسام في هناءة وأخبار متفرقة أُخرى (في المخطوطة 421أ ـ 424أ). وهذا القسم من التاريخ العُماني غير معروفٍ جيداً ولذا ينبغي الاهتمام به ودراسته بطريقةٍ أكثر تركيزاً، وهو يستحق النشر قبل غيره. وقد ترك سليمان طفلاً صغيراً أيضاً، ولذا فقد خَلَفَهُ قريبه عرار بن فلاح. وفي عهده زحف رجلٌ اسمه سيف بن محمد نحو نزوى، وجمع من حوله رجالاً كثيرين أمدَّه بهم الأمير عُمر(؟) وأقام مع حشده بالقرية سبعة أيام، ثم اقتحم أحد محلّات أو أحياء مدينة بهلا عاصمة النبهانيين، والحيُّ المقتحم اسمه حارة أبو معن، وهناك حاصر عرار بن فلاح لعدة أيام؛ لكنه ما لبث أن غادر مع كل زانته(؟) وقد حدث ذلك في السادس من صَفَر عام 1024. وبعد عرار بن فلاح ساد مظفَّر بن سليمان، إنما لمدة شهرين فقط. أما بقية الفصل (424أ - 428أ) فهي موجودةٌ على الصفحات 41 - 48 عند بادجر؛ لكنْ يبدو أيضاً هنا أنّ النسخة التي استخدمها سليل من المخطوطة ما كانت كاملة، فقد أنهى صاحب **كشف الغمة** هذا الفصل على النحو التالي: «استقر سيف بن محمد في بهلا (بادجر)، والعُمير في سمائل، ومالك بن أبي العرب في الرُستاق، والجبور(؟) في الظاهرة. إلى أن ظهر الإمام ناصر بن مُرشد ففتح عُمان كلَّها، وأَنْهى التمرد والانشقاق، وطهَّر البلاد من الفِسْق والشِرْك ..إلخ». إنّ الذي يبدو من هذا الكلام أنّ النباهنة ما كانوا من الإباضية؛ ولو كانوا إباضيةً لذُكرت الإمامةُ في سياق الحديث عن السلطة، وما حصل ذلك.

ويجري الحديث في البابين 37 و38[1]: (428أ ـ 440أ)[2] (440أ ـ 455أ) عن تاريخ أُمراء عُمان من آل يعرُب أو اليعاربة، وهم أسلاف البيت المالك حالياً، وهم مثلهم من الإباضية. وقد حكموا ما بين 1624 و1728، وهم عند بادجر على الصفحات (53 - 130). والذي يبدو أنّ المؤلّف غير المعروف **لكشف الغمة** ألقى ريشته قبل انتهاء مُلك اليعاربة، الذين عاش في أيامهم؛ لكنه توفّي قبل نهاية دولتهم، وظهور أُسرة جديدة سادت في عُمان وشرق إفريقية ابتداءً من عام 1741م. ولهذه الفترة، كانت في متناول سليل أحياناً

1 ـ في ظهور الإمام ناصر بن مرشد، وذكر الأئمة من بعده إلى وقوع الفتنة بين اليعاربة.
2 ـ في ذكر وقوع الفتنة بعُمان وما آلت إليه تلك الأُمور.

مصادر أُخرى غير كشف الغمة، ومن تلك المصادر على سبيل المثال استمدّ أخباره عن الانتصار على البرتغاليين وطردهم من البلاد (بادجر، ص78 - 88)، كما استمدّ الحكاية الواردة في حياة سلطان بن سيف الثاني (بادجر، ص94 - 99)، والحكاية عن الأمير سيف بن سلطان (بادجر، ص93).

ب ـ من تاريخ الإباضية في شمال إفريقية: كما كانت للإباضية دولةٌ في عُمان وشرق إفريقية؛ كانت لهم أيضاً دولةٌ في شمال إفريقية، وفي حين بقيت الدولة في عُمان وشرق إفريقية حتى اليوم؛ فإنّ الدولة الإباضية بالمغارب انتهت منذ مدةٍ بعيدة. لكنّ الإباضية بقيت في تلك الأصقاع في صورة جماعاتٍ صغيرة وأُخرى متوسطة الحجم بالجزائر وتونس وليبيا: خصَّص صاحب **كشف الغمة الباب رقم 32**[1] للتأريخ للإمامة الإباضية بشمال إفريقية فيما بين القرنين الثاني والرابع للهجرة (331ب ـ 378ب). يقسم المؤلّف الباب في ثمانية فصولٍ يقصُّ فيها أصول الدولة وحكم الإمام أبي الخطّاب (المتوفى عام 145هـ) ثم الإمام أبي حاتم (المتوفَّى عام 149هـ). وعلى الورقة 338أ يتحدث عن إمامة عبد الرحمن بن رستم وإمامة عبد الوهّاب، ومحمد بن أفلح، ويوسف بن محمد (ورقة 430). وعلى الورقة 359ب يتحدث عن انهيار الدولة الرستمية في عهد الخليفة العباسي المتوكّل (232 - 247هـ). وعلى الورقة 366 أ هناك ذكرٌ لظهور الدولة الفاطمية، وأول خلفائها عبيد الله المهدي (296 - 322هـ)، ثم الذين جاءوا بعده إلى المعز لدين الله (341 - 365هـ). ويقص صاحب **الكشف** أحداث الصراع بين الفاطميين وبقايا الإباضية إلى أن هربوا إلى وارجلان (على الورقة 366أ). ويستطرد **صاحب الكشف** فيذكر النقاط السبع التي اختلف عليها أبذ(؟)مع ابنه القنطراري(؟) وصولاً إلى ورقة 369أ ـ 378ب. وهناك أخيراً ذكرٌ لبعض علماء الإباضية ومشاهيرهم في المغارب.

إنّ الدولة الإباضية بالمغارب انتهت منذ مدة بعيدة. لكنّ الإباضيةَ بقيت في تلك الأصقاع في صورة جماعاتٍ صغيرة وأُخرى متوسطةَ

1 ـ في ذكر انتشار المذهب الإباضي في أرض المغرب وذكر أئمتهم وعلمائهم.

إنّ هذا القسم من **كشف الغُمة** شديد الشبه ـ فيما يبدو لي ـ بالكتاب الذي نشره بالجزائر Emile Masqueray عام 1879م بعنوان: **سيرة أبي زكريا**؛ مترجماً إلى الفرنسية. وهكذا نجد أمامنا مصدراً تاريخياً قديماً تستعمله الإباضية بالمشرق والمغرب. أما عن المؤلِّف فإنّ صاحب **كشف الغمة** لا يذكر شيئاً. ويبدأ الباب المذكور على النحو التالي:

قيل: إنَّ أولَ من مضى بالمذهب الإباضي من البصرة سلمة بن سعيد، قدم إلى قيروان إفريقية هو وعكرمة مولى ابن عباس وهما راكبان على جمل، وسلمة يدعو إلى الإباضية، وعكرمة يدعو إلى الصفرية.

وقيل: إنّ سلمة قال: وددتُ أن يظهر هذا المذهب بأرض المغرب يوماً واحداً من غدوةٍ إلى زوال، وما أُبالي* لو ضُربت عُنُقي.

وإذا كان تخمين ماسكوراي صحيحاً بأنّ الكاتب هو الإمام عبد الوهّاب؛ فإنَّ ذلك يكونُ خاصاً بالقسم الأول من هذا النص التاريخي.

وفي نهاية الباب وبعد الكلام عن أبي عبد الله محمد بن بكر، هناك خبرٌ قصير عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(؟) تلميذ محمد بن بكر (378ب). ويبدو لي أنّ الأصل الذي نُسِخَ عنه كتاب **كشف الغُمة** كانت بعض أوراقه مضطربة؛ بدليل أنّ الناسخ يورد خبر اختيار الخطّاب للإمامة وأخبار الفترة الأولى من حكمه ضمن أخبار خليفته الثالث عبد الوهّاب، ولذا فينبغي تقديم ذلك إلى الورقة رقم 334ب، السطر 8 بين «سَرَباً» و«فخرج». وهذا الفصل عند ماسكوراي (ص 9، 24، 31). وأريد أن اكتفي بهذا القدر من التنبيه إلى الصِلات التي تربط نصَّ **كشف الغمة** بنصَّي ماسكوراي وبادجر المترجمين. ويبقى من نصيب دراسات أُخرى أكثر تفصيلاً العناية بتبيان علائق هذه المصادر بعضها ببعض، وتقدير كَمْ أفادتنا المعرفة بهذا المصدر أو ذاك في عمليات البحث في تاريخ المنطقة. وهناك أمرٌ آخر يستحق العناية؛ فهناك خلافاتٌ كثيرةٌ بين **كشف الغُمة** والمصادر الأخرى، خصوصاً

* ربما كانت الكلمة غير المقروءة : بعدها.

فيما يتعلق بتواريخ بعض الأحداث، وقد تحتاج **كشف الغُمة** إلى مراجعةٍ دقيقة من أجل كشف الاختراقات، وإعادة النقاش إلى أُفق المراجعة والتعديل.

ج ـ **أقسام العمل الخاصة بالتراجم:** تبدو أقسام **كشف الغُمة** التي تتضمن تراجمَ ومعلوماتٍ بيوغرافية أقلّ غنىً ومُعْطيات من الأقسام التاريخية فيه، وهكذا فالذي يبدو أنها مأخوذةٌ بإيجاز عن مصادر أو كتب طبقات أكثر سَعَةً وغِنىً. فالتراجم في **كشف الغمة** تقتصر أحياناً على كشوف وقوائم بأسماء الرجال، وتضيف أحياناً تواريخ الولادة والوفاة؛ فالباب التاسع والثلاثون[1] (455أ ـ 466أ) على سبيل المثال مقسمٌ إلى ثلاثة فصول: في **الفصل الأول:** ترد أسماءُ بعض الصحابة، مثل عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وآخرين، وتُضاف إليها أحياناً: تواريخ الوفاة والولادة، وقد تُذكرُ المواطن التي تُوفّوا ودُفنوا فيها (وأكثر هؤلاء الصحابة دُفنوا في مقبرة المدينة بالبقيع)، وفي آخِر هذا الفصل تردُ أسماءُ شخصياتٍ دون ترتيب زماني أو مكاني مثل أبي حنيفة ومالك بن أَنَس وبعض النحْويين (سيبويه والخليل)، والشعراء (المتنبي والبُحتُري)، وآخِر المذكورين أحمد حنبل.

يتميز القسم التاريخي من «كشف الغمة» بأنه أكثر سعةً وغنىً من قسم التراجم. ولذا يظهر أنّ التراجم مأخوذة من كتب طبقات ومصادر أوسع

أمّا **الفصل الثاني** من هذا الباب: (458أ) فيتضمن تراجم للشخصيات الإباضية الكبيرة من العصر الأول من خارج عُمان ومن داخلها[2]، ومن بين الأوائل من خارج عُمان يذكر **صاحب كشف الغُمّة** عبد الله بن عبّاس، وجابر بن زيد (مات عام 103هـ)، وعبد الرحمن بن رُستَم ـ إمام إباضية شمال إفريقية ـ وأبا بلال مرداس بن جَدير(؟)[3] وآخرين، ومن بينهم أبو الحُرّ علي بن حَصين(؟) الذي ذهب بوصفه مبعوثاً من الجماعة الإباضية إلى بلاط

1 ـ في ذكر تواريخ موت بعض الصحابة وذكر علماء الإباضية من عُمان وغيرها.

2 ـ في معرفة العلماء من أهل الدعوة من عُمان وغيرها.

3 ـ صحته: أبو بلال مرداس بن حُدير.

الخليفة عمر بن عبد العزيز بدمشق (458 ب ـ 459أ). وقد رافقه في الزيارة والمحاورة مع الخليفة الأُموي «جعفر بن السمّان والحتات بن كاتب(؟) ويُكنّى بأبي عبد الله بن كاتب، قيل: إنه من توام من عُمان، وقيل: إنه كان ينزل سمد الكندي من نزوى، وهو من بني هُميم، وأبو سفيان قنبر، وأبو مودود حبيب بن حفص بن حاجب؛ فهؤلاء الوفد من العلماء». أما الرجال الذي حملوا الدعوة الإباضية من البصرة إلى عُمان، فهم: أبو المنذر بشير (مات عام 178هـ)، ومنير بن النيِّر الجعلاني (مات عام 180هـ)، وموسى بن أبي جابر الأزكوي (مات عام 181هـ)، ومحمد بن المعلّى الفجحي(؟) (تاريخ وفاته غير معروف). وقارن ورقة بالورقة 459ب، س 14:

من فقهاء عُمان أولهم الذين حملوا العلم من البصرة والعراق إلى عُمان عن الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي من البصرة، ثم سكن عضفان من عُمان وهم أربعة: أبو المنذر بشير بن المنذر من بني نافع من عقر نزوى، ويُسمَّى الشيخ الأكبر وكثيراً ما يوجد عن بشير الشيخ، وهو جدّ بني زياد من بني سامة (460أ) بن لؤي بن غالب مات سنة ثمان وسبعين ومائة في ولاية وارث بن كعب الخَروصي ومنير بن العجلاني، وهو من بني ريام قتل بدَما قريباً من المسجد الجامع، وحُمل إلى جعلان، ودُفن بها وذلك يوم الأربعاء لستٍ وعشرين خلت من ربيع الآخِر سنة ثمانين ومائتي سنة بعد قتل عزان بن تميم بشهر زمان والله أعلم، وموسى بن أبي جابر الأزكوي وهو من بني ضَبّة من بني سامة بن لؤي بن غالب مات ليلة أحد عشر من المحرَّم سنة إحدى وثمانين ومائة، وكان موته في ولاية الوارث بن كعب الخروصي بعد ما مضت من ولايته أربع سنين، ومحمد بن المعلَّى الفجحي من كندة لم أجد تاريخ موته.

وعلى الورقة 460أ وما بعد تَردُ قائمةٌ طويلةٌ بأسماء العلماء الذين وُلدوا بعُمان، وبين هؤلاء أُناسٌ ذكرهم سليل في تاريخه عن عُمان، وقلةٌ من هؤلاء تُذكَرُ لهم مؤلَّفات، من بينهم أبو المنذر سَلَمة مصنِّف كتاب **الضياء** (461أ)، ومحمد بن وصّاف، الذي كتب شرحاً على **دعائم ابن النِظر** (461أ)[1]،

1 ـ قارن Rieu, Supplement to the Catalogue of the Arabic Manuscripts of the British Museum Nr. 327, 328

والشـاعر محمد بن إبراهيم الكندي مصنِّف **بيان الشـرع** (مـات 508هـ)، وأحمد بـن عبد الله بن موسـى الكنـدي مؤلِّـف **المصنَّف** (مـات 557هـ)، ومحمد بن موسى الكندي مصنِّف **الكفاية**، ومحمد بن سعيد الأزدي القلهاتي مصنِّف **كتاب الكشف والبيان**، والذي أشار Rieu في كتابه: الذيل على فهرس المخطوطات الموجودة بالمتحف البريطاني* إلـى وجود مخطوطةٍ منه تحت الرقم 202 بالمتحـف (462ب، س6 - 11). وترِدُ إشـاراتٌ هنا إلى معاصرة بعض هؤلاء لعـددٍ من الأئمة والأُمراء بعُمان[1]، والتـي ينبغي أَخْذُها بالاعتبار في سياق تقدم الدراسات عن عُمان وعلمائها وسُلُطاتها.

أما **الفصل الثالث** في الباب التاسع والثلاثين (466أ) فتُذكَرُ فيه أسماء علماء عُمانيين مشـهورين وولادتهم ووفياتهم بالشهر والسنة بدءاً ببشير بن المنذر من نزوى المتوفَّى عام 178هـ، واختتاماً بسـليمان بن أحمد من بهلا المتوفَّى عام 809هـ. وآخر التواريخ الواردة في هذا الفصل هو عام 917هـ، تاريخ وفاة محمد بن عبد الله بن مدَّاد من نزوى (465ب).

أمَّـا قسـم التراجـم الخـاصّ بعلمـاء الإباضية فـي شـمال إفريقية (369 - 378) من هذا الفصل فهو موجـودٌ بصيغةٍ أكثر تفصيلاً مما ورد عند ماسكوراي (ص266 - 284)، (288 - 323). ومن هؤلاء العلماء الذين يذكرهم صاحب **كشـف الغمة**: أبو القاسـم يزيد بن مخلد، وأبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسـي، وأبو مسور يسجا بن يوحين البهراسني، وأبو نوح سعيد بن نفيل، وأبو خرز يعلى، وأبو عبد الله محمد بن بكر، وأبو زكريا فضيل بن أبي مسور، وأبو الربيع فضيل بن أبي مسور المزاني(؟).

ومن الواضح أنه في كيانٍ يتولى الأمر فيـه الأكثر ديناً وعلماً بالاختيار والانتخاب؛ ويكون عليه أن يغادر السلطة عندما يفقد بعض الشروط الدينية؛ فإنّ حملة العلم وحراس الشريعة من الفقهاء والمتكلمين يلعبون دوراً كبيراً. وبالفعـل فإنّ عدداً من هؤلاء كان لهم تأثيرٌ كبيـرٌ في الأحداث؛ ولذا يكون

* Supplement to the Catalogue of the Arabic Manusacripts of the British Museum

1 ـ مثل الجلندى بن مسعود، وحازم بن خُزيمة، ووارث بن كعب.

علينا أن نتوقع تطوراً كبيراً فـي أدب التراجم، ونعْني بذلك تراجم العلماء؛ وإن لم نجد حتّى الآن غير عددٍ قليلٍ جداً من كتب الطبقات عند الإباضية.

د ـ أسطورة أصول أنســاب عرب الأزد بعُمان: تَرِدُ الروايةُ عن بدايات مجيء الأزد إلى عُمان ومكافحة الوجود الفارسـي عن ابن الكلبي في الباب الرابع من **كشــف الغمة** (ورقة 20 - 29). وعمل ابن الكلبي وابنه هشام منه مخطوطةٌ في المتحف البريطاني (376، 22. Add)؛ لكنه ما نُشِـرَ بعد ولذا فليس مُتاحاً للقراءة المتفحِّصة. وإذا أخذنـا ذلك بالاعتبار، وأضفنا لذلك أنّ روايات هذه الأسطورة أو الحكاية تتشابك وتتكرر في دوائر متعددة، مما يجعلها مهمـةً للباحثين في أسـاطير الأوَّليات؛ فإننا نلخِّص هنا مقتبسـات الباب الرابع من **كشف الغمة** عن هذا الأمر.

كان مالك بن فهم الأزدي الدوسي أول أزدي عربي ترحَّلَ إلى عُمان، ويرجـع ترحُّلُـه إلى أنّ أبنـاء أخيه عمرو بـن فهم حين كانـوا يقودون مواشـيهم يوماً إلى الديار؛ دخلت كلبةٌ لأحد الجيران في القطيع ونبحت ففرَّقتْه، فرماها أحد الأبناء بسهمٍ فقتلها، وعندما شكى الجار إلى مالكٍ غضب للاعتداء على جيرانه مـن جانب أَولاد أخيه فقرر مغادرة مضارب القبيلة ومراعيها في السَـراة بأعالي نجد، وقد سُمّيت تلك النواحي بعد الحادث نجد الكلبة! وبهذه المناسبة يقول مالك مخاطباً ناقته:

ستُغنيكِ عن أرض الحجاز مشاربٌ رحابُ النواحي واضحاتُ المسالكِ

لكنّ هذا البيت إن صحَّ فهو يعنـي أنّ بادية الحجاز كانت أرض قوم مالكٍ الأُولى، وليس الحجاز. وقد ضـرب مالك مضاربه لفترةٍ فـي **بَرَهوت**، وهو وادٍ بحضرموت، وهناك علم أنّ الفرس من رعايا الملك دار بن دار بن بهمن بقيادة مرزُبان كانوا قد توطّنوا بـأرض عُمان. وهكذا قرر مالـك أن يمضي إلى عُمان وجعل علـى مقدمته ابنه هُناءة أو ابنه فراهيد، وعندما بلغ أرض الشِـحْر تخلَّف عنـه هناك بطن مهرة بـن حَيدان بـن الحاف بن قُضاعة بـن مالك بن حمير، وعندمـا وصل مالك إلى عُمان اسـتولى أولاً على قَلهات على السـاحل، ونشـر مضاربه في أرض الجوف، ومن هناك أرسل مالك مبعوثاً إلى الفرس ليستأذنهم

في سُـكنى المنطقة فرفضوا، ووقف كلٌّ منهما على سـلاحه: مالك في الجوف، والفرس في صُحار، والتقى الجيشـان في سَلوت على مقربةٍ من نزوى. وقد كان مالك في قلب الجيـش، والمجنَّبتان بقيادة ابنيه هُنـاءة وفراهيد. وجاء الفرس على أفيالهم، ودامت المعركة عدة أيام، وحفلت بالكلمات الحماسية والمبارزات الفردية، وكثيـرٍ من التفاصيل الحكائية، ثم اسـتطاع مالك قتـل المرزبان في مُبارزةٍ ففرَّ الفرس، وعادوا إلى صُحار والمناطق المحيطة المسـمَّاة بالشطوط؛ بينما مضى مالك إلى قلهات. وجرت المفاوضات على هدنةٍ لمدة عامٍ ينسـحب فـي نهايته الفرس إلـى بلادهم. وعندما علـم ملك الفرس بمـا حدث غضب، وأرسـل عسـاكر جديدةً من البحرين إلـى عُمان، وعندما انتهى أمد الهُدْنة رفض الفرس الانسـحاب من عُمـان، فقاتلهم مالـك وأبنـاؤه الثلاثة هُناءة وفراهيـد ومعن، وهزمهـم ثانيةً، فسـارع من بقي منهم إلى سـفنهم وتركوا البلاد، فصار مالك بن فهم سيداً لعُمان. وسـارع إلى إطلاق سراح أسرى الفرس وأرسـلهم على السفن إلى إيران. وعلى أثر ذلـك وردت بطونٌ أُخرى من الأزد إلـى البلاد متبعين آثـار مالك، ومن هؤلاء عمرو بن عامر ماء السماء وولده الحجر ملادس بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن الحارث بن عبد الله بن عامر، والأسود اليحمد بن عمرو بن الأزد، وهؤلاء نزلوا بهدَّاد، وحارثة الحدان وأخوها زياد وهو الندب الأصغر، وبنو غنم بن غالب بن عثمان بن حمر بن ناس من بني غامد وناس من خوالة، والصيق، والندب الأكبر ومعولة وهم من شمس، وقد اسـتقر هؤلاء «في بلد ريفٍ واتّساع». واستمر تدفق الأزد إلى أن بلغوا البحرين وهجر. أمّا اسم عُمان فيقال: إنه اسمُ وادٍ كانت فيه عين ماءٍ وغُدْران؛ وكان الفرس يسمُّونه المَزون.

اسم عُمان يقال إنه اسمُ وادٍ كانت فيه عين ماءٍ وغُدْران وكان الفرس يسمُّونه المَزون

وبعد الأزد جاءت قبائل عربيةٌ أُخرى إلى عُمان، ومن هؤلاء سامة بن لؤي بن غالب، الذين نزلـوا في بلدة طُعام ونواحيها؛ أي في الجـوف بجوار الأزد، وقد وجدوا هناك ممن نزلوا قبلهم بطوناً من سعد وعبد القيس، وقد زوَّج سامةُ ابنته من أسـد بن عمران بن عمرو. أما نواحي عبرى والسـليف والسـرو فقد نزلتها

بطـونٌ من تميم من خُزاعة بن خـارم، ومن بني النبيت. أمّـا ناحية ضَنْك فقد نزلها بنو الحارث بن كعب وبعض قُضاعة. أمّا النازلون الآخرون فكان منهم بنو رواحة بن قُطيعة بن عبس، ومن بطونهم أبو الهشم.

ظلَّ مالك أقوى الزعماء في البلاد، وبعد أن اسـتولى علي قلهات ونواحيها تابع زحفه إلى النواحي الأُخرى من عُمان حيـث قابل أميراً أزدياً آخر كبيراً هو مالك بن زُهير، وقد تـزوج مالك بن فهم ابنةَ ابن زهير هذا بشـرط أن يكون ابنُهُ منها هـو المقدَّم على إخوته من بعـده، وقد وُلد لمالك مـن هذا الزواج بالفعل سـليمة بن مالك، الذي كان مقدَّراً له أن يُصبحَ قاتل أبيه! وسـاد مالك في عُمان سـبعين عاماً، ومات عن مائةٍ وعشـرين عاماً. وفي إحدى الروايات أنّ الملك المذكـور في الآيـة القرآنيـة (79/18): ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ هو مالك بـن فهم، أو أنه أحد أحفاده المسـمَّى مندلة بن الجلندى بن كركر وهو جدّ الصفـاق الجلندى بن كركر أو الجلندى المسـتكبر أو أنه أزديٌّ آخر اسمه المستر بن مسعود. وفي قسمٍ آخر من هذا الفصل (26 أ) تُذكَرُ حكايةُ أو أُسـطورة موت مالك بن فهم، والمغامرة الفارسـية لابنه سـليمة؛ كان سليمة أحبَّ أولاد مالكٍ إليه، وقد ربّاه على الفروسـية وبرع في استعمال القوس، وقد حسده إخوته وحاولوا إزاحته من طريقهم، وقد كان على كلٍ منهم أن يسهر ليلةً للحراسـة؛ لكنّ سـليمة كان يفوّت نوبة حراسـته وينام، وعندمـا أخبر الإخوة والدهم زجرهم ولـم يصدّق ذلك؛ لكنـه أراد أختبار أمانة ولـده، وفي إحدى ليالي حراسـة سـليمة نام كالعادة وهو على صهوة فرسـه، وتلفَّع مالك وتخفَّى ومضى يلتمس ابنه وماذا يفعل، فلما اقترب من الفرس صهلت ونشـرت أُذنيها، فاستيقظ سليمة وصوَّب سهم قوسـه من بين أُذني الفرس باتجاه العدوّ المتوهَّم فأصاب والده في قلبه[1]، وخاف سـليمة أن يثأر منه إخوته وبخاصةٍ معن. وعمد الابن الأكبـر هُناءة إلى دفع ديـة الوالد للإخوة فأظهروا العفـو وتركوا متابعة أخيهم سـليمة. ومع أنّ معناً قَبِل المال أيضاً؛ لكنه ظلَّ حاقـداً على أخيه، فلمّا أنفق المال عاد للتآمر على سـليمة الذي اشـتدَّ جزعُهُ وخوفُـهُ فجمع عدداً من رفاقه وغادر البلاد في سـفينةٍ إلى فارس. ونزل سليمة بجاسك، وتزوج بفارسيةٍ

1 ـ ابن دريد، ص 292.

اسمها الإسـفاهية، والأولاد من هذه المرأة سُمُّوا بني الإسـفاهية، وتابع سليمة تجواله فمضى إلى كرمان ونزل على أحد الملوك هناك، وقد عرَّفه بنفسه فعومل باحترام، وكُتم اسمه حتى لا يُنال منه بجريرة ما فعله أبوه وأخوه جذيمة الأبرش في الفرس؛ بَيْدَ أنّ الصعوبات ظهرت عندما أرادوا تزويجه بإحدى بنات البلاد، فقد كان الملك الأكبر غاشـماً، وانتزع لنفسـه حقَّ الليلة الأُولـى من كلّ امرأةٍ عذراء أو أيِّـم يُرادُ تزويجُهـا، وإذا رفضت الفتاة أو أهلها ذلـك فإنهم يقتلون جميعاً، وقد شكى أهل كرمان هذا الإذلال إلى سـليمة فوعدهم بالإنقاذ، وهكذا وفي ليلة العُـرس لبس لباس العروس وأخفى تحت ثيابـه خنجراً ثم اقتيد إلى مخدع الملك، فاسـتلّ خنجره وقتله[1]، ولبس لباس الملك، وعندما انفلق الصباح هجم على الحراس وقتلهم. ولأنّ باب الحصن كان مقفلاً، فقد دبّت الفوضى في المدينة، وهكذا فقـد ظهر المتآمرون مع سـليمة، الذي أطـلَّ عليهم من أعلى الحصن وأراهم سـيفه المضمَّـخ بالدم، كما رمـى إليهم رأس الملـك القتيل وملابسـه، وبذلك نجحت المؤامرة وصار سـليمة ملكاً على كرمان. على أنّ أهل البلاد سُـرعان ما حسدوا وسـخطوا على ملكهم الغريب مما اضطرَّ أخاه هُناءة إلى إرسـال نجدةٍ له من عُمان، وتوفّي سـليمة بكرمان وترك عشرة أبناء: عبد وحماية وسعد ورواحه ومجاش(؟) وكلاب وأسد وأزهر وأسود وعثمان.

بعد موت سـليمة عاد المُلْك إلى الفرس، أما الأبنـاء فقد تفرقوا في أنحاء فارس وبقي عددٌ منهم فيها في صورة قبائل قوية؛ بينما عاد عددٌ آخر إلى عُمان.

وطوال مدة مُلْك آل مالك بن فهم ما طمـع الفرس في الدخول إلى البلاد ثانيـةً؛ لكن في زمن إمارة الجلندى بن المسـيَّر المعولي عـاد الفرس فأخذوا السواحل العُمانية بمقتضى اتفاقيةٍ مع الجلندى، وانسحب الأزديون إلى الدواخل والجبال، وظلَّ الأمر على هذه الحال لحين مجيء الإسلام[2].

1 ـ قارن بقصةٍ مشـابهةٍ في أسـطورة أنطيوخوس في روزنامـة الأعياد اليهودية عنـد البيروني في كتابه: الآثار الباقية من القرون الخالية، ترجمة أدوارد ساخاو، لندن 1879م، ص 271، 272.

2 ـ ذكرت المجلة الناشـرة أنّ الأستاذ سـاخاو بسـبب اضطراره لمغادرة ألمانيا إلى بلاد ما بين النهرين (أرض بابل وأشور كما قالوا) قبل الموعد المقرر بشهرين، لم يستطع إكمال الدراسة، وقد يفعل ذلك عندما يعود.